حرم عليهم شحم الثرب وشحم الكلية وما عدا ذلك فهو حلال لهم (ق) عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميتة
فانه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومها اجملوه ثم باعوه فاكلوا ثمنه قوله جملوه يعني اذابوه يقال اجملت
الشحم وجملته اذا اذبته وجملته اكثر وافصح وقوله تعالى ذلك جزيناهم اي ذلك التحريم جزيناهم عقوبة ببغيهم يعني بسبب
بغيهم وظلمهم وهو قتل الانبياء واخذ الربا واستحلالهم اموال الناس بالباطل وانا لصادقون يعني في الاخبار عن بغيهم وفي
الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم فان كذبوك يعني فان كذبك اليهود يا محمد فيما اخبرناك انا حرمنا عليهم واحللنا لهم
مما بيناه في هذه الاية المتقدمة فقل ربكم ذو رحمة واسعة يعني بتاخير العقوبة عنكم فان رحمته تسع المسيء والمحسن فلا
يعجل بالعقوبة على من كفر به او عصاه ولا يرد باسه يعني ولا يرد عذابه ونقمته اذا جاء وقتها عن القوم المجرمين يعني الذين
كذبوا الانبياء وهم الكفار واليهود وقوله عز وجل سيقول الذين اشركوا لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه
من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله اخبر الله تعالى عنهم بما سيقولونه فقال تعالى سيقول الذين اشركوا يعني مشركي قريش
والعرب لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا يعني من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لو شاء الله ما اشركنا حجة على اقامتهم على الكفر
والشرك وقالوا ان الله قادر على ان يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلولا انه رضي ما نحن عليه واراده منا
وامرنا به لحال بيننا وبين ذلك ولا حرمنا من شيء يعني ما حرموه من البحائر والسوائب وغير ذلك فقال الله عز وجل
ردا وتكذيبا لهم كذلك كذب الذين من قبلهم يعني من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل قومك كذبوا انبياءهم وقالوا
مثل قول هؤلاء حتى ذاقوا باسنا يعني عذابنا **فصل** استدل القدرية والمعتزلة بهذه الاية فقالوا ان القوم
لما قالوا لو شاء الله ما اشركنا كذبهم الله ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وايضا فان الله تعالى حكى عن
هؤلاء الكفار صريح مذهب الجبرية وهو قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك لم نشرك ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا
عنه ثبت انه مريد له واذا اراده منا امتنع تركه منا والجواب عن هذا ان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار انهم قالوا
لو شاء الله ما اشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التكذيب ليس هو في قولهم لو شاء الله ما اشركنا بل ذلك
القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم ان الله امرنا به ورضي ما نحن عليه كما اخبر عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا
وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها فرد الله تعالى عليهم بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء والدليل ان التكذيب في قولهم ان الله
امرنا بهذا ورضيه منا لا في قولهم لو شاء الله ما اشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله عن كذبهم
في قولهم لو شاء الله ما اشركنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب وقال
الحسين بن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيما واجلالا لله ومعرفة بحقه وبما يقولون لما عابهم بذلك ولكنهم قالوا
هذه المقالة تكذيبا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون وقيل في معنى الاية انهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة
وهو قوله لو شاء الله ما اشركنا الا انهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لهم في ترك الايمان والرد عليهم في هذا
ان امر الله بمعزل عن مشيئته وارادته فانه تعالى مريد لجميع الكائنات غير امر لجميع ما يريد فعلى العبد ان يتبع امره
وليس له ان يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون عذرا لاحد عليه في فعله فهو تعالى شاء الكفر من الكافر ولا يرضى
به ولا يامر به ومع هذا فبعث الرسل الى العبد يامره بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع فالحاصل
انه تعالى حكى عن الكفار انهم يتمسكوا بمشيئة الله تعالى في شركهم وكفرهم فاخبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد
باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله تعالى في كل الامور دفع دعوة الانبياء عليهم السلام والله اعلم وقوله تعالى
قل هل عندكم من علم اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لو شاء الله ما اشركنا ولكنه رضي ما نحن عليه من الشرك

هل

هل عندكم من علم يعني بدعواكم ما تدعون من علم يعني من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم فتخرجوه لنا يعني فتظهروا
ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم خطا قولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالته في العقول ان تتبعون الا الظن يعني فيما
انتم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله عليكم وتحسبون انكم على حق وانما هو باطل وان انتم الا تخرصون يعني وما انتم
في ذلك كله الا تكذبون وتتقولون على الله الباطل قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين
حين عجزوا عن اظهار علم او حجة لهم فلله الحجة البالغة يعني التامة على خلقه بانزال الكتاب وارسال الرسل قال
الربيع بن انس لا حجة لاحد عصى الله او اشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده فلو شاء لهداكم اجمعين يعني ولو شاء
الله لوفقكم اجمعين للهداية ولكنه لم يشأ ذلك وفيه دليل على انه تعالى لم يشأ ايمان الكافر ولو شاء لهداه لا يسال
عما يفعل وهم يسالون قل هلم شهداءكم الذين يشهدون يعني هاتوا وادعوا شهداءكم وهلم كلمة دعوة الى الشيء يستوي فيه
الواحد والاثنين والجمع والذكر والانثى وفيها لغة اخرى يقال للواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللانثى هلمي
واللغة الاولى افصح ان الله حرم هذا وهذا تنبيه من الله باستدعاء الشهود من الكافرين على تحريم ما حرموه على
انفسهم وقالوا ان الله امرنا به ليظهر ان لا شاهد لهم على ذلك وانما اختلقوه من عند انفسهم فان شهدوا فلا تشهد
معهم وهذا تنبيه ايضا على كونهم كاذبين في شهادتهم فلا تشهد انت يا محمد معهم لانهم في شهادتهم كاذبين ولا تتبع
اهواء الذين كذبوا باياتنا يعني ان وقع منهم شهادة فانما هي باتباع الهوى فلا تتبع انت يا محمد اهواءهم ولكن اتبع ما اوحي
اليك من كتابي الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذين لا يؤمنون بالاخرة اي ولا تتبع اهواء الذين لا يؤمنون
بالاخرة وهم بربهم يعدلون يعني يشركون قوله عز وجل قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم لما بين الله تعالى فساد مقالة الكفار
فيما زعموا ان الله امرهم بتحريم ما حرموه على انفسهم فكانهم سالوا وقالوا اي شيء حرم الله فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم ان يقول لهم تعالوا اتل ومن الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن
هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقيل اصله ان تدعو الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو وهو رفعة
المنزلة فكانه دعاه الى ما فيه رفعة وشرف ثم كثر في الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا ايها القوم اتل عليكم يعني اقرا
ما حرم ربكم عليكم يعني الذي حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا شك فيه ولا ظنا ولا كذبا كما تزعمون انتم بل هو وحي اوحاه
الله الي الا تشركوا به شيئا **فان قلت** ترك الاشراك واجب فما معنى قوله الا تشركوا به
شيئا لانه كالتفصيل لما اجمله في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز **قلت** الجواب عنه من وجوه
الوجه الاول ان يكون موضع ان رفع معناه هو ان لا تشركوا الوجه الثاني ان يكون محله النصب واختلفوا
في وجه انتصابه فقيل معناه حرم عليكم ان تشركوا وتكون لا صلة وقيل ان حرف لا على اصلها ويكون المعنى اتل عليكم
تحريم الشرك ان لا تشركوا ويكون المعنى وصيكم ان لا تشركوا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على اوصيكم
بالوالدين احسانا الوجه الثالث ان يكون الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشركوا على الاغراء ومعنى
فرض عليكم ان لا تشركوا به شيئا ومعنى هذا الاشراك الذي حرمه الله ونهى عنه هو ان يجعل لله شريكا من خلقه او يطيع
مخلوقا في معصية الخالق او يرائي بعبادته رياء وسمعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقوله عز وجل وبالوالدين
احسانا اي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما ثنى بالوصية بالاحسان الى الوالدين لان اعظم النعم على
الانسان نعمة الله لانه هو الذي اخرجه من العدم الى الوجود وخلقه واوجده بعد ان لم يكن شيئا ثم يعقب نعمة الله نعمة
الوالدين لانهما السبب في وجود الانسان ثم ما لهما عليه من حق التربية والشفقة والحفظ من المهالك في حال صغره
ولا تقتلوا اولادكم من املاق يعني من خوف الفقر والاملاق والاقتار والمراد بالقتل واد البنات وهن احياء
وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله عن ذلك وحرمه عليهم نحن نرزقكم واياهم يعني لا تئدوا بناتكم خوف العيلة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)